سر الوجود

ما هي الحياة . اين كان الاحياء قبلما ولدوا والى اين يمضون بعدما يموتون . وما في الحكمة في هذا الخلق . لماذا يولد مئة طفل فلا يبلغ العشرين ثلاثون منهم ولا يبلغ الخمسين عشرة ولماذا تبيض السمكة مليون بيضة فلا يبلغ الا اثنان من اولادها اشدها وتثمر الشجرة الوفا من الاثمار قبلما يتفق لاحدى بزورها ان تنبت وتخلف نسلاً . وعلى م تظهر الازهار والرياحين في الفلوات والادغال حيث لا تراها عين انسان ولا يتمتع بها ذوق حيوان

يجيبك العالم الطبيعي بسلسلة من العلل والمعلولات مفادها ان كل حلقة من حلقات الوجود متصلة بغيرها وان الغرض منها ترقية الاحياء بنوع عام . يقول لك ان قوى الطبيعة وميكروباتها تجتمع على عناصر الجماد فتحللها وتركبها وتجعلها غذاء للنبات فينموها و يصير غذاء للحيوان . وكلما سقطت ورقة او نبتت شجرة اقبلت عليها الميكروبات فحللتها واعادتها الى التراب غذاء لما يخلفها . وكلما مات حيوان انحلّ جسمهُ وعاد الى الارض والهواء غذاء للنبات وان لم يمت اكلهُ غيرهُ من الحيوان غذاء لهُ . وانواع النبات والحيوان ترتقي جيلاً بعد جيل وقرناً بعد آخر حسب النواميس الطبيعية القاضية ببقاء الاصلح للبقاء . والانسان غير مستثنى من ذلك بل تجري عليهِ نواميس الطبيعة كما تجري على غيرهِ يولد معرّضاً للآفات الطبيعية فتغلب عليهِ او يغلب عليها و يموت من غير نسل او يخلف نسلاً وتتوالى الاعقاب والاحقاب والارتقاء مستمرٌّ وما الفرد سوى دقيقة في جسم هذا الوجود يقوم بهِ جزءٌ من اجزاء هذا الرقي . هذه خلاصة اقوال العلماء الطبيعيين فهل كشفت العطاء عن سر الوجود وازاحت الستار عن معنى الحياة

وقف كاتب هذه السطور عند هذا الحد واطلق لخيال العنان فلم يرَ امامهُ الا ظلاماً دامساً فارتدَّ على نفسهِ وهو يقول

عفت اليراع ساءمةً وفرارا ... من بادرات تلجم الافكارا
وخرجت في ليل كأن نجومهُ ... احداق فصفور اصابت نارا
جبتُ الجزيرة لا ارى في مؤنسٍ ... والنيل حولي لا يزيل ' وارا
حتى بدا نور الصباح فشمتهُ ... نور الهدى فاتيتهُ محضارا
وطلبت عن هذا الوجود وسرهِ ... كشفاً يزيح عن الوجود ستارا
فاجابني سرُّ الوجود صحيفة ... طويت فقلتُ انشرٌ امتت عثار
فنشتُ عن سر الوجود وقصدهِ ... وسألتُ عنهُ النعلبي والاحبارا

ظالمتْ ما كتبوا فما من متتبع وكتبت ما قالوا فلستُ أُماري
أمماك هذا النيل لا تحصى وفي تاريخها قد جازت الادهارا
عاشت وماتت بين حبٍّ او قلىً نحو وبغضٍ لا هوًى لا ثارا
حرباً وسلماً واعتداءً واحتكا ما لا ترى منها لها انصارا
وطوائف الاحياء يعيي وصفها فسرُّ البيان وعدُّها المقدارا
من مثل مكروب حقير لا يرى او مثل قمّاح طوى الانهارا
والنيل قلْ ما شئت في تعظيمهِ نهر جرى كي يدرك الابحارا
لو الفُ نيل جُمّعت ما ماثلت من اوقيانوس واحد معشارا
بحر خضمٌّ والخلائق سمكهُ تبغي البقا والى الفنا تتبارى
كانت كذلك في العصور الغابرات المبقيات على الصفا آثارا
منها تولّدت الصخور وطالما قلب غدا صخراً وماء غارا
والطيرُ في انواعها وضروبها سامت ذكاء تحلُّقاً ومطارا
اسرابها تغدو وتقطع رحّلاً خوف الردى والى الردى تتجارى
ونبات هذي الارض من ارز الى زوفا يبيد وان يعش اعصارا
فعلى مَ هذا الخلق ان كان الفناء مصيرهُ والناس فيهِ توارى

فاجابني ركبٌ خفيٌّ قائلاً اسمعْ وقلْ قولي « امتْ عثارا »
هذي الخلائق كلهنّ دقائقٌ والكون من مجموعها قد صارا
والفرد فيها ليس من مجموعها الاّ هباءً او قذًى منهارا
ورقيُّ هذا الكون يستدعي — اندثار دقائق ونقاية وبوارا
هذه تعاليم الفلاسفة الاولى جعلوا دجى الليل البهيم نهارا

اتموت في سبل الرقيّ ضحيةً ونصير من اجل الرقيّ غبارا
نورَ الخلائق مصدر النور الذي يهدي الكواكب في السماء مدارا
ان لم تنر عقل ابن آدم لم يجد نور الهدى بل زاد عنك نفارا
فاهدر ايا نور البصائر معشراً تخذوا الحقيقة خلةً وشعارا
انضوا عوامل عقلهم فتثلمت واستوقفوا الميفى فزاد فرارا
ظلمٌ ونور العقل قصّر عن هدًى وبغير نورك لا نشيم مسارا